نخّار الخُطى

مختارات من شعر الخارج السوري بعد 2011

إعداد:

أحمد قطليش

نخّال الخطى

مختارات من شعر الخارج السوري بعد 2011

اختارها وقدَّم لها: أحمد قطليش

نخّال الخطى

مختارات من شعر الخارج السوري بعد 2011

اختارها وقدَّم لها: أحمد قطليش

تصميم الغلاف: فادي العساف

ISBN: 978 - 9933 - 540 - 51 - 7

الطبعة الأولى: 2018

دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع

سوريا - دمشق - ص ب: /9838/

هاتف-فاكس: /6133856/ 11 00963

جوال: 00971557195187

البريد الإلكتروني: addar@mamdouhadwan.net

الموقع الإلكتروني: addar.mamdouhadwan.net

fb.com/Adwan.Publishing.House
twitter.com/AdwanPH

تم إنجاز هذا المشروع بمنحة من مؤسسة اتجاهات-ثقافة مستقلة، وتم نشر الكتاب بدعم من دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع.

جميع الحقوق محفوظة للناشر دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع. لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو أو بأية طريقة دون موافقة الناشر الخطية.

المقدمة

هَدَمَ الحراك الاجتماعي في بداية الثورة السوريّة عام 2011 التوازنات التي كانت سائدة على مدى عقود في البنية الثقافية والسياسية والاجتماعية السورية. كانت التفاعلات في سوريا سابقاً محددة ومنغلقة على بعضها بعضاً، إلا أن كل شيء ساكن أخذ يتحرّك، وتخلخلت الأساسات التي كان النظام السياسي يفرضها على حياة الجميع.

هذا الواقع الجديد انتقل أيضاً إلى الكتابة الشعريّة؛ فالشعراء كانوا في عزلة عن المجتمع وقضاياه، وكانت الفردانية ثيمة رئيسة في كتاباتهم، وحدّدت النزاعات الداخلية الشعر وعوالمه، ولم تطاول القصائد البيئة الحاضنة إلا في حالات قليلة سرعان ما تعرض أصحابها إلى ضغوط أمنية. كانت محاولة مس المجتمع والسياسة برؤية تؤثر في تلك التوازنات التي أسس النظام السياسي بيئة لها وأجبر المجتمع على الاستقرار بها تؤدي إلى مهالك عنفيّة ذات أشكال متعدّدة، وعلى هذا الأساس، كتب الشاعر السوري شوقي بغدادي، الذي يعتنق أفكاراً يسارية وتعرّض للسجن مرّات عدّة بسبب معارضته للنظام، أن «الضرر الذي لحق بي، ولا بد من الاعتراف به، هو الاستسلام شبه المطلق لتقاليد

النظام السياسي وتكتيكه اليومي الذي كان يطغى بضجته المتقلبة على صوتي الداخلي»(1).

وفي أواخر الستينيات، وفي محاولات الشعر الحر في أن يثبت حضوره من خلال عكس الألم الجمعي ما بعد نكسة حزيران العربيّة عام 1967، وإدخال الصوت السياسي بديلاً للشعارات الثورية الرنانة المجترة في القصائد التي كانت إحدى وسائل الأنظمة الإعلامية مع المجتمع، بدأت تخرج أصوات شعرية حقيقية تعيد تشكيل هوية الشعر السوري، إلا أنها مع الوقت والضغوط السياسية الداخلية أصبحت خارج الحالة الاجتماعية وتطلعاتها والتي كانت نابعةً منها في الأصل، حيث «شاع شعر الانكفاء نحو الذات واجترار انكساراتها الداخلية، انعكاساً لما أصاب الأوطان من انكسار»(2). صحيح أن هذا لم يجرِ في سوريا وحدها، وإنما في عدد كبير من الدول العربيّة، لكن الصحيح أيضاً أن الوقع في سوريا كان أعظم وأشدّ.

هذا الوضع الذي بدا كليلة ليلاء امتدت لعقود هي عمر النظام الشمولي في سوريا، سيشهد فيما بعد تغيّرات عديدة خلال نصف العقد الأوّل من الثورة السورية، إذ تأسست أنماط ومواضيع جديدة للكتابة. تحوّلات تحلّ، وسرعان ما تُلغى ويتربّع مكانها تحوّلات أخرى مختلفة، حتّى وصل الكثير من الشعراء إلى المنافي، بينما بقي

أقرانهم من الجيل الجديد داخل البلاد. بدت مساحتين مختلفتين في الكتابة: كتابة الداخل تسلّلت إليها لغة العنف المتداولة، والمشاهد اليوميّة المجتزأة. تفاصيل قليلة، وآلام كبيرة، أما كتابة الخارج فبدت بعين البازي المحلّق الذي في استطاعته رؤية المساحات الشاسعة... مساحات الأحداث اليومية المتسارعة محمّلة بالذاكرة المأساوية والأمل مضافاً إليها التجربة اليومية المعاشة خارج المكان السوري.

وجميع العوالم الجديدة للشعر السوري - وإن كانت لا تزال ضبابية وغير واضحة المعالم - مرتبطة بالتغيرات على الأرض والانعكاسات المباشرة وغير المباشرة على الذات الشاعرة على اختلاف توجهها السياسي ومشاركتها في العمل الثوري أو المناهض له وحتى للذين تأثرت حياتهم الشخصية من أطراف عديدة في سوريا مع تشعب الصراع داخلها.

وفي الواقع، ومن هنا، يمكن القول إنّ تصدير أي عمل بعناوين تبنى على مصطلحات (اللجوء، النزوح، الثورة، الأزمة، الحرب، الحرب الأهلية، الأحداث السورية...إلخ) يعني، من بين ما يعنيه، أن هذا العمل يستغل الحالة السورية للوصول إلى مكاسب مختلفة، غير أنه، وفي المقابل، هل يمكن قراءة أي حالة أدبية من دون أخذ هذه التغيرات الكبيرة بعين الاعتبار؟ وألا تكفي الثورة والحرب

والهجرة لتكون أسباباً كافية لإعادة خلق اللغة والبنية والاتجاهات في التجارب الشعرية؟ بل ألا تكفي لدفع هذه التجارب الشعريّة إلى مناطق لم تصل إليها من قبل بعيداً عن التقييم، خاصةً وأن مراحل التحوّل ما تزال مستمرة وبتسارع كبير مع التغيرات في الداخل والخارج؛ تحولات الثورة والحرب والمجتمع في الداخل، وضبابية الهجرة واللجوء وإعادة بناء الذات مكانياً وزمانياً بمعطيات غير ثابتة على جميع الأصعدة في الخارج.

قبل السلاح

بالعودة إلى البداية التأسيسية لما يمكن عدّه الشِّعر الجديد، أي زمن الثورة السلميّة، كانت الانقسامات السياسية بين الشعراء واضحة في انحيازها إلى الثورة أو إلى النظام، وذلك عدا عن المواقف الأخرى التي اتخذ أصحابها الصمت أو التحفظ في آرائه. وعلى عكس ثورات أخرى تجنب مثقفوها وشعراؤها أن يكونوا جزءاً من الحراكات الشعبية، وكان «معظمهم ثورياً بالعدوى لا بالمعاناة»، مثلما حصل على سبيل المثال في الثورة الجزائرية ضدّ الاستعمار الفرنسي، فإن هؤلاء الشعراء «صدروا في قصائدهم عن تجربة شعورية تملأ لحظات من حياتهم، لا عن تجربة ثورية كيانية تملأ حياتهم كلها».(3) وقد شارك الشعراء السوريين المنحازين إلى

الثورة ثوارها على الأرض في التظاهرات والاحتجاجات ضد السلطة بمختلف أشكالها، علاوة على المشاركة إعلامياً من خلال وسائل الإعلام المعروفة، أو من خلال الاستعانة بوسائل التواصل الاجتماعي التي جعلت البعض منهم رموزاً ثورية، ما أدى إلى تداعيات لاحقة بشأنهم وشؤونهم.

والحال، فإن مشاركة الشعراء في الحراك الثوري كانت فاعلة مع الجماعة وبعيدة عن التجربة الإبداعية، حيث أن بدايات هؤلاء لم تكن مرحلة للإنتاج الشعري بالقدر الذي كانت بالنسبة إليهم مرحلة مشاركة حقيقية تجلّت في تحييد القناعات الأيديولوجية المُختلف عليها، وقد تجلى ذلك بوضوح عند مشاركة بعض الشعراء في التظاهرات الخارجة من المساجد على الرغم من الاختلاف الحاد في الوسط الثقافي على هذا الفعل، والذي جعل الكثير من الكتاب الثوريين عرضة لهجمات باتهامهم بالانجرار وراء تحركات دينية تستبطن الكثير من الرجعية داخلها. غير أن الحدث العام كان هو المحرك الرئيس، وأصبح المجال العام بالنسبة إلى الشاعر «واقعاً اجتماعياً يفرض سلطانه على الوعي»(4)، وتبادل الأدوار بين الشاعر والمجتمع، وإن كان له صدى لبعض المصالح الشخصية، إلا أنه ساهم في ردم الهوّة ما بين المثقف والمجتمع - في بدايات الثورة على وجه التحديد - ما ساهم في إعادة تشكيل الوعي لدى المثقف/الشاعر؛ حيث أنّ المثقف

الثوري يعتبر في أعلى درجات سلم الوعي الثقافي، ويمكن أن نعطي هذا المثقف تعريفاً واضحاً هو: التمرّد والثورية والتخصص في علم الثقافة، كما تقول سيمون دي بوفوار، قبل أن تضيف تعريفاً للمثقف «يتميز لدينا في المثقف الثوري (الوعي الثقافي) في أعلى درجاته، ألا وهي المعرفة الخبيرة بالواقع المعاش»(5).

بعد السلاح

إلا أنه وبعد تحول أو تحويل الثورة والانتفاضة الشعبية السلمية إلى ثورة مسلحة - بعيداً عن مسببات ذلك - وبعد تشعب الصراع في الداخل السوري وتحول الأرض إلى ساحة حرب تشترك فيها معظم دول العالم الكبرى بشكلٍ مباشرٍ وغير مباشر، أصبح الشاعر عرضة لضغوط وتهديدات من الأطراف السياسية والعسكرية... بل والمجتمع نفسه، حيث أنّ جلّ الشعراء الذين شاركوا في الثورة في بداياتها تعرضوا لمضايقات واعتقالات من قبل النظام، ومن ثم مضايقات من الأطراف المسلحة على اختلافها واختلاف توجهاتها من شمال سوريا إلى جنوبها، وحيث أصبح صوت الشاعر يخرج عن الصوت العام ويرفض بعض التصرفات العنفيّة، أو بدأ بعملية نقد الثورة؛ وهنا ظهرت صفة الشاعر كـ«كائن اجتماعي تنهض فيه إمكانية التفرّد... يحيا عضواً في جماعة إنسانية ينتمي إليها ويدخل في سلسلة التنظيمات التي

أوجدتها ضرورات الاجتماع البشري في مرحلة معينة من مراحل التطور الاجتماعي... لكنه لا يزال ذاتاً متفردة لها عالمها الخاص. فلكيلا يبتلعه ذلك الخضم من القوى الخارجية، يلزمه أن يعيد بناء ذاته بصورة مستمرة»(6)

وهنا عاد الشرخ ما بين الشاعر والمجتمع، خاصة أن المتابعين لهؤلاء الشعراء على مواقع التواصل الاجتماعي - وهي المجال العام الافتراضي الوحيد المتبقي بعد أن ألغي المجال العام الفعلي - أصبحوا يهاجمونهم ويهددون حياتهم بسبب آرائهم التي هي بطبيعتها، في المجمل، لا تتوافق مع ما يريده هذا المجتمع، فيصبح الشاعر هنا: «واقعياً ويرفض الواقع، أو تاريخياً ويرفض التاريخ. جمعياً ويرفض الجماعة – والاجتماع»(7).

وعلى ذلك لم يكن هناك أي مشاركة مسلحة للثورة من قبل الشعراء أنفسهم، على غرار فيكتور هيجو الذي كان «يقف وراء متراس من متاريس ثورة باريس في النهار ويكتب فصول قصته البؤساء في الليل»(8).

وعلى الجانب المقابل، أصبح الكثير من الشعراء والكتاب المنحازين إلى النظام، أدوات لهذا النظام من خلال اتحاد الكتاب العرب أو اتحاد الكتاب الفلسطينيين في دمشق، وكانت تعقد ندوات وقراءات أدبية دورية تتصدرها شعارات تخوين الآخر ودعم النظام بكل ما يقوم به على الأرض. وهنا بدأت الصراعات ما بين الشعراء تأخذ طابعاً سياسياً، لكنها تستهدف الرؤية الفنية والإبداعية

للجميع. ويمكن الاستشهاد هنا بحالة أدونيس التي سببت قلاقل كبيرة في الأوساط الثقافية، وأصبح هجوم الشعراء المنتمين إلى الثورة على أدونيس هجوماً شخصياً يستهدف إنتاجه الثقافي وعلاقة هذا الإنتاج بآرائه السياسية، الأمر الذي حذا بالانشقاقات ما بين الكتاب عامة إلى تهميش العمل الإبداعي وإسقاطه بحسب الرأي السياسي لصاحبه؛ إذ يعتبر أطراف النزاع أن أخلاقية الكاتب هي المؤسسة لأصالة إبداعه، وإن كانت هذه الأخلاقية منحازة إلى جانب ما فإنها ستُهاجَم من الجانب الآخر على هذا الأساس.

أما شعرياً، فلقد فقد الشعر دوره في تحريك الأحداث على الأرض، ما خلا بعض الأشعار الغنائية التي كانت تستخدم في التظاهرات أو في وسائل الإعلام، كأغنية «يا حيف» للفنان سميح شقير، والتي كان أثرها الانفعالي جلياً ومتسعاً في الأوساط كافّة، وتقليداً لحقبة ميتة من الشعر، إذ أن هذه «الغنائية السياسية التي تمجد عظمة الوطن وتحث على الاستقلال والحرية برزت في إسبانيا الخاضعة للنير النابليوني، قبل أن تفرض نفسها في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبولندا وهنغاريا واليونان... وهي تندرج في الاتجاه الكلاسيكي»(9)، وهذه الأشعار فنياً لا تلعب دوراً في تطوّر القصيدة السورية، بل قد تكون إبداعياً ذات أثر عكسي، حيث «قليل من الشعر الثوري أعطانا الشعر، الشاعر الرديء

يسقط في الفخ ويعطينا الخطابة المباشرة بدل الشعر، والشاعر الجيد يتناسى أنه يكتب شعراً ثورياً فيعطينا التجربة والدلالة، ويرفض أن يعطينا المباشرة أو الحماسة الوقتية».(10)

في المقابل، برزت أيضاً عادات قديمة في الشِّعر الذي برز بعد الثورة، لكنّها كانت أكثر حداثة في نمط الموضوع، وأكثر سوداوية، وبدت متخليّة عن الهجاء المعهود في الشِّعر الذي يكتب عادة ويستطبن تفاصيل تتعلّق بالسياسية، وهكذا ذهب بعض الشعراء إلى السخرية كوسيلة لإعادة رسم المشهد الثوري بتناقضاته كافة:

«لو أعرفُ كيف أقود دبابة

كنتُ استعرتُ واحدة من الأعداء أو الأصدقاء

- الكل لديه دبابة سواي -

ولأخذتكِ على متنها

في فسحةٍ بمستوى هذه الحرب

لتشاهدي الحياة كما يراها الجنود من فتحة الباب المستطيلة

لربما عذرتِهم لتدمير كنيستكِ المفضلة

- قبل أن تكفري بإلههم بقليل –»(11)

وبعض الشعراء تمكنوا، بعد وقت طويل نسبياً من الثورة، من إعادة الرسم الشعري لتفاصيل الثورة وتوابعها الضرورية، كالاعتقالات والقتل والتهجير، وربطها بتساؤلات حقيقية تبحث في انعكاسات الثورة على الداخل الإنساني:

«مشروعُ قاتلٍ أنا؛

سبَّابتي التي تُرَقِّصُ القلمْ...

قد تضغطُ الزنادَ -

قالَ ضابطُ التحقيقِ لي

..

مائلُ كتفي؛

الظهيرةَ..

أحملُ القتلى،

المساءَ..

إلى المخيَّمِ أحملُ الحطبْ

من قالَ..

إنَّ البندقيَّةَ وحدها السببْ»(12)

الخارج والداخل

وإذا ما كان الانقسام حاضراً في سوريا في كل شيء، فإن انقساماً آخر برز في الساحة الشعريّة نفسها، وهو أمر عادي وطبيعي، وقد حصل في غالبيّة البلدان التي تعرّضت إلى هزّات عنيفة بفعل داخلي وخارجي. وفي أوساط السوريين، تزايدت وتيرة الاتهامات للشعراء في الخارج بأنهم يتسلقون على الثورة، أو على الوضع السوري المتأزم، ليحققوا نجاحات ومكاسب شخصية من دون وجود أساس إبداعي حقيقي. وكثير من هذه الاتهامات تأتي من شعراء الداخل، «عندما اتهم كاتبٌ بقي في ألمانيا خلال سنوات الحكم النازي من غادروا بأنهم يستمتعون بـ(كنبات وكراسي الهجرة الوثيرة)، ردّ ألفريد دوبلن أن "ترحل من بلدٍ إلى آخر - أن تفقد كل ما تعرفه، كل ما كان قد غذّاك، أن تكون في ارتحالٍ دائم وأن تعيش لسنواتٍ كمتسولٍ فيما أنت لا تزال قوياً، ولكنك تعيش في المنفى - هذا ما تبدو عليه كنبتي وكرسيي في المنفى"».(13)

وهنا يغيب عن هؤلاء المُتّهِمِين أن المساحة الأدبية في أوروبا مثلاً مفتوحة لأي كاتب ليقدم نفسه، سواء كانت تجربة هذا الكاتب كبيرة أم في بداياتها، وما يهم هو التفاعل الحاصل بعد ذلك من المتلقي والحركة الثقافية في الخارج، وبعد زمن سيفرز الجمهور نفسه هذه التجارب ولن يبق منها إلا ما هو إبداعي وحقيقي، وذلك كما تقول المترجمة الألمانية لاريسا بندر التي تعمل الآن على ترجمات للكتاب السوريين(14). ولا يخفى أن هناك حالة عطش لفهم الوضع السوري من خلال مثقفيه، وهناك جهات ومؤسسات وجدت فرصتها للعمل في هذا الشأن. لكن هل كل من عمل مع هذه المؤسسات هو متهم بالضرورة؟ وألا يحق للكاتب أن يقدم نفسه؟ الجمهور في الخارج كان يريد أن يعرف عن سوريا التي تحولت إلى خبر يومي، والتعرّف أكثر إلى ما يحصل من خلال الأدب. ثم أراد أن يعرف تجارب هؤلاء الأشخاص في رحلة اللجوء، وبعد ذلك يريد أن يرى انعكاس التجربة الأدبية في البيئة الجديدة إبداعياً خارج إطار المعرفة بالآخر ليتم محاكمة هذه التجارب ضمن محاكمة فنية بحتة.

لم تتوقف هذه المشاعر المتضاربة عند الشعراء والمثقفين السوريين فيما بينهم، بل تعدتها إلى المثقفين التي كان لبلدانهم أثرها وتدخلاتها في الوضع السورية، لتزيد من الاحتقان الداخلي والخارجي حول سوريا. عندما سُئل

بورخيس عن موقف مثقفي بلده حول إسبانيا، أجاب: «كانت الجراح التي فتحتها حروب الاستقلال ما تزال غائرة، وكان الحقد تجاه كل ما هو إسباني قوياً لدى مواطني أمريكا الجنوبية، وكنا نشتم الإسبان بلفظي غودو وغاييغو، بينما كان إعجابنا بما هو فرنسي مفرطاً».(15)

قد يكون هناك شرخ ما بين شعراء الداخل والخارج. وبعيداً عن العديد من الحالات التي تتسلق الأحداث السورية بشكل واضح، سواء في الداخل السوري أو في بلدان المهجر، إلا أنّ هذه التفاعلات بين التجارب الفاعلة، وإن كانت تبنى في بعضها على رؤى هجومية تجاه الآخر، إلا أنها من ناحية أخرى تصبغ الشعر السوري بمكان نشأته الحالية، ويعيد هذا الأمر تفعيل دور الشعر السوري وإثرائه. يقول مازن أكثم سليمان في شهادة له حول الشعر السوري في الشتات: «إذا كانَ وجود شعراء الدّاخِل حتّى هذه اللحظة في قلب المَعمعة الهائِلة يعطي قصائدَهُم مصداقيّة تتَّصِل بحساسيّات الخطر والمُعايَشة والصِّراع المُباشَر مع أبسَط مُتطلَّبات البقاء على قيد الحياة في المَناطِق المُشتعِلة، أو على الأقلّ تتَّصِلُ بضرورات الصُّمود المَعيشي والاستمرار الحياتي في أقرب دلالاتِهِ في جميع المَناطِق السورية»، قبل أن يضيف «فإنَّ شعراء الشتات يمتلكونَ سلاحاً آخَرَ لا يقلُّ أهمِّيَّةً عن أسلحة أو أوراق قوّة شعراء الدّاخِل، وهوَ سلاحُ

يُضفِي على قصائدِهِم مصداقيّةً نوعيّة من ناحية أُولى، ويُحمِّلُهُم مسؤوليّة أخلاقيّة وإنسانيّة مُضاعَفة من ناحية ثانية، وأقصدُ بذلكَ واجبَهُم ودورَهُم المنوط بهم وبشعرهم تحديداً في إيصال الصوت السوري ومُعاناتِهِ ومَظالِمِهِ إلى العالَم، وهي قضيّة تُعيدُ تعيين الوظيفة الشعريّة لديهِم بما يتجاوَزُ حُدودَ الانهِمام بالمُستوى الفنّي - على أهمِّيَّتِهِ بوصفِهِ شرطاً مُلزِماً أوّلاً وأخيراً - إلى حُدودِ الرِّسالة الإبداعيّة التي تُنتِجُ تلقائيّاً تعريفاً عريضاً لمَفهوم الالتزام الفنِّيّ لدى شعراء يَعيشونَ في هذه الحقبة الخصبة والمريرة في آنٍ معاً. ولا بُدَّ في هذا المضمار من أنْ نلاحِظَ حجمَ الاهتمام الخارجي بالمُبدعين السوريِّين، وكثافة النَّشاطات التي يُقيمونَها في بُلدان الشتات، وكثرة الجوائِز التي ينالونَها، وهيَ الأمور التي تؤكِّدَ أهمِّيّة الدور المأمول منهم من ناحية أُولى، وقدرتهِم من ناحية ثانية على فعل الكثير لصالح خدمة القضيّة السورية». (16)

تهميش الحنين

وإذا ما كان الشِّعر المكتوب في الداخل يستحّق وقفة جديّة، إلا أن التركيز على الشّعر الذي كتب خارج سوريا بعد الثورة غاية في الأهميّة، كونه شعراً أكثر حريّة وأكثر تنوّعاً، إضافة إلى أنه شعر ترتفع فيه الدراما وتتداخل، فضلاً عن أنه أيضاً شكّل انعطافةً وحده الزمن كفيل

بمعرفة مدّى جديّتها، في تفسير الحنين، المكاني والزمني، إلى المكان الأول: سوريا.

وبالمقارنة مع الفترة الرومانسية مطالع القرن العشرين التي شكّل فيها الحنين أساساً لشعراء المهجر وجماعاتهم في أمريكا الجنوبية وغيرها من البلدان، والحنين الذي كان حاضراً في الشعر الفلسطيني بعد التهجير الإسرائيلي والنفي من فلسطين بدءاً من عام 1948، ومن ثمّ الشّعر العراقي الذي مرّ بهجرات عديدة، واتخذ بعض شعرائه اسم بلادهم عنواناً لكتبهم، مثل أنور الغساني، ومحمّد مظلوم، وعبد الحميد الصائح، وبالطبع لا يمكن إغفال الكثير من قصائد سركون بولص، وإن لم تكن بطريقة مباشرة كقصيدته «سينما السندباد»، أو قصائده الأخرى عن مدينته كركوك...
جميع هذه التجارب العربيّة في الحنين إلى المكّان الأول، بدت، بمقارنة مع الشّعر السوري، فاقعة. إذ أن الحنين كثيمة في الشعر السوري الجديد في المهجر بدا فاتراً، ويمكن ردُّ ذلك إلى أن فكرة اللجوء أو الهجرة والاندماج في البلدان الجديدة لا تزال تسيطر على أذهانهم، أو أن المساحة الزمنية بين الداخل والخارج لم تأخذ وقتها بعد، والتعب من الهجرات، والصراع مع الاستقرار في المكان الجديد، لم يمنح فرصة للنظر إلى الماضي، إلى الزمان والمكان الماضيين.

«هناك قطعةٌ ناقصة من سماء دمشق التي ودعتها أمس، لا أستطيع تقدير حجمها، لكنها قطعةٌ كبيرةٌ جداً. إلى درجة أن السماء لا تبدو ناقصة فحسب... بل مفترسة». (17) من هذا النص للشاعر رائد وحش يمكننا أن نلحظ رؤية أخرى للحنين إلى دمشق -الوطن الآخر للشاعر الفلسطيني السوري - ففي حين أن الزمن السابق لا يمكن القبول به من وجهة نظر الشاعر الذي انحاز إلى الثورة، وفي ذات الزمن المرفوضة هناك علاقة متغلغلة نضجت في هذا المكان. فالحنين يتحول إلى شكل آخر غير واضح متمسك بفكرة المكان، ويحيد عما يطوق من دكتاتورية وتغيرات على الأرض لا تتوازى مع الذاكرة المتشكلة حول هذا المكان، وقد ترفض المكان تماماً في بعض الأحيان في نصوص أخرى:

وقولي لهم أين سأجد أسناني بين أكوام الطائرات

أين سأجد قميصي الذي لونته بالتوت

ولمّا ترين بعض اللون على ملامح دمهم الأسود

نامي

نامي في قبرك

فقد تركت لك مكاناً في جانبي

لأني أحبك

أنا سأزرع فضاءك وفراغك وخوفك قمحاً وتيناً

وستصيرين

وسنصير أمراء ربما في مملكة تحت التراب

قبري جنب قبرك(18)

وهنا، يمكن اعتبار عدم القدرة على النظر إلى الخلف في الذاكرة المكانية كانت سبباً لنجاة التجربة الشعرية السورية في الخارج إلى حدٍّ ما عن النفاق الشعري السطحي تجاه الوطن، ودفعت إلى محاولات تقشير الذات من هذا الحنين لإخراج تجارب ذاتية خاصة تجاه الأرض، قد لا تكون نضجت بعد إلا أنها بدأت بشق طريقها. «إذا استطعنا العودة إلى المكان، لا بالمعنى الزخرفي، نكون قد قمنا بثورة حقيقية على الحساسية الشعرية، لكن الزخرفة ليست ضد الزمان فحسب، بل هي ضد المكان أيضاً، إنها قيح المكان» يقول أدونيس في حوار له مع منير العكش.(19)

جوانية الشعر السوري

يمكننا النظر إلى النصوص التي يكتبها الشعراء السوريون من بداية الثورة إلى ما تبع ذلك مع تنقلات

وتقلبات كمفاتيح لإعادة قراءة الحالة الاجتماعية السورية في تفاصيلها الغائبة عن الأخبار السياسية وأرشفة الأحداث الدامية، حيث أن هذه النصوص في مراحلها المتعاقبة استطاعت أن تلامس التفاصيل الحياتية العادية، ويمكننا من خلالها إعادة قراءة التغيرات في التفاصيل العادية ومنعكساتها في المجتمع مع التعاقب السريع للأحداث فيه.

الأمُّ ماتت.

الزوجة والأولاد.

السقفُ يستلقي على الأرضيّة

منتفخاً في بعض الأماكن

بسبب أصص الورد

والنظرات الأخيرة.

/

منذ يومين

وأنت تعيش

مع ألم الأسنان

ما عدتَ وحيداً إذاً(20)

ومع هذا الاتجاه الشعري، تغيب القضايا الكبرى عن النص الذي لم يعد يهتم بمحاكمة الواقع كما يبرر توماس هوبر «ولهذه الحرب التي يخوضها الإنسان ضد كل إنسان هذه النتيجة، وهي أن لا شيء يمكن أن يكون ظالماً، ومفاهيم الشرعي وغير الشرعي والعدل والظلم، ليس لها مكانها هنا»،(21) ففي هذه العبثية والمتاجرة بالإنسان ضمن نزاعات سياسية مستديمة، حاول بعض الشعراء إعادة نبش الأصوات الخافتة في الحياة العادية وإعادة تشكيلها مع الأحداث من دون مباشرة أو خطابة، بل بانسياب يدلل على تغلغل الأحداث في التجربة وتنعكس بشكل طبيعي وواعٍ ضمن النص الأدبي.

مبتسماً كأنَّ الحربَ لم تأكلْ أخي،

أتسلّقُ جبل الكرمل مثل عريشة عنبٍ

كي أظهرَ بجانبكِ في الصورة العائلية،

فتقفينَ بجانبي مُرَّةً كالحقيقة،

ودافئةً مثل رصاصة،

وطويلةً مثل يوم الأحد.

امرأةٌ بذاكرةٍ مثقوبةٍ، يسيلُ منها قلبي على شكلِ فراشة(22)

واستمر الشعر السوري في تقديم التجربة الذاتية التي قد لا تمس الأحداث ولا تقدم أي إشارات، بيد أنها نضجت بتساؤلاتها معها:

أريد أن أكتب عن الحياة، الحياة في رئتي عصفور صغير يحاول الدخول من درفة النافذة الموارِبة فيضرب رأسه بالخشب.

الحياة في جناحي فراشة شفافة تقترب من أثر الضوء وهي تعتقد أن السلام يمكن هناك، فيحترق طرف جناحها الأيسر.

الحياة في بطء نملة تسير على حافة الجدار، وهي تحلم بذرة سكر ستجدها في مكان ما.

أريد أن أكتب عن الحياة(23)

وقد فتحت موجة اللجوء والهجرة للشعراء السوريين أبواباً جديدة لم يسبق لهم أن عالجوها، كرحلة اللجوء نفسها والتي أصبحت ثيمة يتناولها الكتاب بكثرة، إما بطرائق وأساليب مباشرة قد يكون ذلك لحداثة هذا الموضوع: «بدا الأمرُ وكأنَّه تعرٍ محسوبٌ بمواقيتَ مُحدَّدةٍ، فمَع

الاقترابِ من القاعِ، كانَ كل شيءٍ ينفك عن الجسد، حتى الثّيابُ كانَت تنخلعُ وتبتعدُ... مثل الصُّور العالِقة في الرَّأسِ... صورٌ شتّى، وطنٌ هدمَه الطُّغاةُ، مسالكُ الهروبِ بينَ الحدودِ، وجوهُ المُهرِّبين، رفاقُ الرُّكوب في البلم... صراخُ الرُّعبِ من تَسرُّبِ الماء...»(24)، أو بأساليب تتكامل مع الشعرية الخاصة بالكاتب نفسه وتفاصيله ولغته ولا تنفك عنها، بل تحاول أن تقدم رؤية جديدة وإن كانت لا تزال غير واضحة:

«البارحة صعدت الجبل

ملأت صرتي بالسكاكين

والجنود

الهدنة القريبة التي عقدها الله مع الجنرال

في حقيبتي مشط وبخور

فردة حذاء لصغيري

الذي ركل صوت القطار بعيداً

تفاوضنا مع الجنرال

قال: خذوا تذكرة واحدة

قطعة من أشلاء بيتكم

وإزميلاً كي تعيدوا نقش الحائط الجديد»(25)

هذه التجارب الجديدة التي يعايشها شعراء الخارج السوري فتحت مدارات متعددة في الوعي الداخلي للشعراء مع التشتت الخارجي فكرياً وسياسياً، وعسكرياً على الأرض، ما أدى إلى غياب جزئي للمعرفة الخارجية. ولا يعني غياب المعرفة غيابَ الوعي، بل تعميقه من خلال التساؤلات حول الرؤى التي باتت تمسّ كل إنسان سوري، فالحس هنا غير مصطنع أو خيار، بل جزء من الكينونة البشرية، «"الوعي" هي التسمية التي تليق أن نطلقها على هذه المعرفة التي تعرف أنها لا تعرف، وهذا الوعي هو ما سيكون بشكل مطابق "تماماً" وعياً لمادتها اللغوية، والكلام في اللغة التي يفهمها عنصرها، وعي خيّال، لغزي،

سحري»(26) هذا الوعي يمكن أن نراه جلياً في شعرية جولان حاجي في إعادة رواية الذات الشاعرة:

تحت البُطْمةِ البرتقاليّة،

عذرائِنا الساكتة،

تنتِشُ حبّةُ شعيرٍ محَتْ ثآليلَهما

ويهزّ كبشي النائمُ قرنيهِ الحلزونيين

فيرنُّ جرسي بين صوفهِ المحَنَّى

ويصمتُ جدجدٌ على السلّمِ الخشبيّ.(27)

الهروب من الجماعة

مع موت وظائف الشعر الإعلانية: السياسية والتوجيهية الاجتماعية والدعوية الدينية، ومع تزايد رغبة الخلاص الفردي وعدم الانتماء السياسي التام لدى معظم الشعراء السوريين في الخارج، خسر الشعر اتجاهاته الخارجية وانزوى في الذات الشاعرة الفردية فمن الشعراء من ظلّ محصوراً بذاته وفيها، ومنهم من استطاع أن يعيد إنتاج الخارج من خلال تجربته الخاصّة المُمِضة.

مارةٌ مثلي إلى البرزخِ يُسرعونَ حزانى ولهم أوجاعٌ وعيونٌ مدماةٌ، تنفَعُ للكاميرا، أكثرَ مما تنفعُ الحياةَ. هاتوا بيناتِكم، أقولُ أنا الذي عاشَ في جلبابِ مَلكٍ، وصدَّقَهُ المتعبونُ - الحقيقةُ أنا كائنٌ من عشبٍ في أغلبِ حالاتي - ينكسرُ مثلَ قلبِ الغزالةِ الأمِّ، وينطفئُ مثلَ شمعةٍ في قارب، ويغرقُ إذا لم يجدْ يدَ أنثىَ تنقذهُ، ولَهُ عينُ قناصٍ وقلبُ ذئبٍ، ويفشلُ في قتلِ أحدٍ سواه...(28)

وإذا ما إن كان الجمهور في السابق يحتاج إلى محرضّات انفعالية تدفعه إلى الحراك والثورة أو تساعده على البكاء في النكبات، فإنه الآن في حاجة إلى ما يعمق شعوره تجاه التفاصيل البسيطة، أو يساعده على إعادة رؤية الأشياء بمناظير أخرى مع التسارع البصري والتكنولوجي الذي سهل الوصول إلى الآداب والثقافات كافة، وقرّب الكتاب من جمهورهم من خلال وسائل التواصل الاجتماعي التي نزعت الهالات المتشكلة حول شخص الكاتب. فلم يعد الجمهور الشعري هنا مجرد مستمع، بل مشاركاً ومؤثراً في تجربة الكاتب. وقد يكون لهذا الأمر مع جانبه الإيجابي منحى سلبي يؤثر في التحكم بنتاج بعض الكتاب، إذ يدفع تأثير القارئ أحياناً إلى تدمير الإبداع وجعل عمل المُنتَج متمحوراً حول إعادة صياغة ما يريده الجمهور القارئ، و«ما يريده» قد يكون مستهلكاً تماماً!

ولكن الجمهور مع وعيه المتزايد سينحاز إلى الإبداع الخالص، فكما يؤكد كوين أن «جانباً من هذا الجمهور يمكن أن يخطئ ولفترة معينة»، ويضيق «ولكن لا يمكن أن تخطئ الأجيال كلها خطأ متواصلاً. وما دام الجمال ليس قيمة خاصة بالعمل الأدبي في ذاته، ولكنه صفة نطلقها على قدرته على إيقاظ المشاعر الجمالية في النفس».(29) لكن، وفي حين أن تأثير القرّاء قد يكون إشكاليّة في أحيان كثيرة، غير أن إشكالية أخرى ظهرت،

أو تعمّقت، في الشعر السوري، إلا وهي ظهور بعض التجارب الشعرية التي تتحدث عن تجاربها الشخصية برؤية تقريرية تحاول جذب الآخر ـ كل من يمكن أن يفيد في انتشاره من جمهور وناشرين وفنانين - وهذا الجذب لا يتكئ على جمالية أو إبداعية التجربة الشعرية، بل يستمد قوته من البكائية. وقامت هذه التجارب بتصدير قصائد دموية، شأنها شأن نشرات الأخبار، وعلى عكس الشعر الذي يمنحنا مجهر لإعادة الحس بالمشاهد العادية، فإن هذه التجارب ساعدت على قتل الشعور تجاه هذه المآسي بسبب اجترارها، وتمسّكها بتخيلات مريضة تقارب مفهوم الفردانية في بدايات الحداثة، لكنها تقدم صورة تجارية. وقد ساهمت المواقع الثقافية في انتشار الكثير من هذه التجارب بسبب حاجتها إلى محتوى يصل إلى جمهور أكبر، فبعد أن كان الشاعر هو من يحاول البحث عن أبواب النشر، أصبح جمهور حالته الفردية مطمعاً للمنصات الثقافية، وهذا دليل آخر على قوة الفرد هنا بخصوصيته، سواء أكانت هذه القوة ناتجة عن قدرة إبداعية أم عن طرائق أخرى جرى ذكرها.

هذه النزعة الفردية أو الهروب إلى الذات كان له تداعيات العلاقات الإنسانية بين الشعراء أنفسهم، فعلى خلاف ما شكلته موجات الهجرة السابقة من روابط وتحالفات ما بين الكتاب العرب ليقدموا أعمالاً جماعية على اختلاف توجهات أعضائها ولها أهداف ومشاريع تعنى بتطوير

الآداب في الداخل العربي، أو إحداث تغييرات في المرفوض من الموروث والتأسيس لأدب حداثوي - بعيداً عن نتائج هذه المحاولات - إلا أنها كانت مؤثرة وفاعلة كالرابطة القلمية التي تأسست في نيويورك عام 1920، والتي شكلتها جماعة صغيرة مختارة من أدباء الطليعة، الذين على الرغم من اختلافهم في المستوى الفني والإنتاج، كانوا يؤمنون جميعاً بضرورة التغيير وإدخال وسائل ومواقف جديدة على الشعر العربي.(30)

إلا أن حالة الشعراء السوريين في المهجر كانت مختلفة تماماً. وعموماً، فإن كل تجربة تسعى إلى خلاصها الفردي وتقديم مشروعها الخاص، وإن كان هناك بعض الروابط الضيقة التي لم تجمعها تكتلات تأسست من داخلها، بل من المؤسسة الخارجية التي تعمل مع هؤلاء الشعراء على مشاريع جماعية من قراءات وكتب وترجمات.

وهنا نلحظ أن المجتمعات المستضيفة أو المعنية بالشأن السوري هي من قامت بالجمع بين هؤلاء الشعراء في مشاريع مشتركة، وإن كان بعضهم لا يقبل الآخر (إبداعياً).

هذه الصراعات الخفية أو عدم الوئام وإن كان له أثر سلبي على العلاقة الإنسانية والاتهامات الشخصية في بعض الأحيان إلا أنّ التدافع والاختلاف الحاصل قد

يرسم خطاً جديداً للشعر السوري ببصمات مختلفة غير متناسخة.

ولكن هذا لا بد من أن يرافق أي أزمة أو أي تغييرات كبيرة مفاجئة. المهم هنا هو ما تحدثه هذه التغيرات من أثر كبير ومستديم على بعض التجارب، وما تفعله من تشتيت في الذات الشاعرة في بداية لخلق آخر نرى له بعض الملامح الضبابية لدى بعض الشعراء، لكن استدامة الأحداث وتسلسلاتها تساهم في إبقاء هذه الذات في متناوسة لا تهدأ لتأخذ منحاها الأخير، أو لتتشكل ملامح واضحة لها، وما تنتجه هذه الحركة الداخلية المنعكسة عن الخارج لا بد من أنّ الكثير منه سيكون مرجعاً للذات السورية المشتتة في هذه المرحلة، وإن كانت هناك هنات في قصائد الشعراء الأصيلين في بعض المناحي اللغوية والبنائية، بيد أنّ ما تقدمه الآن يتجاوز الشعر ويضطلع بدور تأريخي في مرحلة فقد الثقة بكل ما يؤرشف/ يؤرّخ/ يعلن خارجياً... ومن هنا يأخذ الشعر حداثيته الحقيقية، سواء كان الشاعر منعتقاً من الخارج، لكنه متشربٌ به أو منصاعاً له، غير أنه يعيد النظر إليه من تجربته الذاتية؛ «في أفق معاناة قول "الجزء" من دون "الكل" من منظور "الكل" وعبر نظام القول عند "الكل" ثالثاً، أي قول الداخل فقط أو الخارج فقط من منظور الخارج فقط - أي من منظور الكل الجمعي الذي ينتمي إليه الشاعر المعاصر ويتبنى

التعبير عن مواقفه وأفكاره... أو في الوعي الجمعي للإبداع، يعني أنه، أي الشاعر المعاصر، قد جعل في القصيدة يحيل على وضع كينونته الجزئي خارج القصيدة. قد أخذ يعكس في القصيدة، بمرآة اللغة الصافية، المحتوى الانفعالي، أو الإدراكي للشعور أو الوعي الموجهين من الخارج».(31)

النزوع إلى النثر

حبكت الثورة السورية منذ بدايتها مصائد جديدة للشعراء السوريين أخرجتهم عن حروب باردة وغير منتهية تجاه تعاريف الشعر والإشكالات غير المنتهية ما بين شعراء قصيدة النثر وشعراء قصيدة البحر وقصيدة التفعيلة. فلم يعد يُسمع الآن عموماً أي مشاحنات حول هذا الأمر لوجود محرضات صراع أخرى ما بين الشعراء مرتبطة بتطورات الأحداث على الأرض، فضلاً عن الخلاف السياسي.

ومع هذا، فإن انتشار شكل جديد في الكتابة الشعرية - النثر الشعري - على «غرابته» لم يحرض على خلق حرب أو مشاحنات كبيرة في المنصات الأدبية، العديد من الشعراء السوريين انتهجوا النثر كوسيلة أخرى للكتابة تحت ثقل المتغيرات المتتابعة على الصعيدين الشخصي والعام، ويبدو أن محاولة خلق نص شعري بالأساليب السابقة مع هذا الزخم النفسي أصبح أمراً عسيراً؛ لكن

هذا النثر أصبح يتطور بشكل ملحوظ من خلال اللغة الشعرية التي بدأت تنسل إلى النص لتخلق نصاً شعرياً «منثوراً»، أو يمكن عدّه « نصاً نثرياً».

وهذا الخلط في التعريف ليس جديداً، وكان حاضراً، على الصعيد العربي مثلاً، منذ بداية قصيدة النثر، والنص المفتوح، وحتّى قصيدة التفعيلة التي تبدو أقلّ ضبابية كونها محكومة بأوزان وتفاعيل.

وعلى الرغم من أنّ هناك محاولات جادة وحقيقية لإعادة تقديم الشعر بطريقة نثرية تتناسب مع تسارع التقلبات السياسية والعسكرية والاجتماعية، إلا أن هناك الكثير من النصوص التي تقدم على هذا الأساس لا تحتوي على أي بنية شعرية - لغةً وبناءً - بل تتكئ فقط على إعادة كتابة الواقع بطريقة إنشائية مليئة بالدم والتفاصيل المحفزة من الحرب لأثرها بعينها لا بإبداعية الشعرية التي هي عملية صنع تنطوي على مستويات معرفية معقدة، يعيد فيها الوعي تشكيل علاقته بنفسه، وعلاقته بالعالم، وعلاقة العالم باللغة، وعلاقة اللغة بالوعي نفسه(32).

(1) شوقي بغدادي - الموقف الأدبي عدد 138-139.

(2) غسان غنيم - الموقف الأدبي عدد 453-454.

(3) شعر النضال الجزائري على ضوء التجربة الثورية - نذير العظمة - مجلة شعر العدد 17.

(4) الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية - عبد الواسع الحميري - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

(5) المثقفون ومشروع اتحاد الأدباء - ياسين رفايعة - مجلة شعر عدد 41.

(6) دائرة الإبداع - عياد شكري - دار إلياس العصرية.

(7) الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية - عبد الواسع الحميري - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

(8) لعبة الأدب - فتحي خليل - منشورات دار الآفاق الجديدة.

(9) تاريخ الآداب الأوروبية 2 - الهيئة العامة السورية للكتاب.

(10) الشعر الثوري والشعراء العرب - محي الدين محمد - مجلة شعر عدد 17.

(11) أريد أن أقود دبابة - حمد عبود.

(12) صورة تذكارية مع بندقية - حسن إبراهيم الحسن.

(13) مدينة الكلمات - ألبرتو مانغويل - دار الساقي.

(14) مقابلة شخصيّة مع المترجمة الألمانية لاريسا بندر آب / اغسطس 2017.

(15) حرائق السؤال - حوارات - أزمنة للنشر والتوزيع.

(16) سيرياذا: الشعر السوري في «الشتات» - عماد الدين موسى - موقع ضفة ثالثة.

(17) قطعة ناقصة من سماء دمشق - رائد وحش.

(18) طفلان وطائرات - ميس قرفول.

(19) أسئلة الشعر - منير العكش.

(20) عارف حمزة - لست وحيداً.

(21) تاريخ الآداب الأوروبية 2 - الهيئة العامة السورية للكتاب.

(22) غياث المدهون - حليب أسود.

(23) رشا عمران - شهوة.

(24) مزامير إزمير - علي سفر.

(25) بشرى البشوات - هدنة الجنرال.

(26) الشعر كشرط للفلسفة - مقابلة مع آلان باديو - أوروبا شباط 2000م.

(27) جولان حاجي - قبلي.

(28) محمد المطرود - أسبوع مشرف على الدهشة.

(29) بناء لغة الشعر - جون كوين - الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(30) الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث - سلمى الخضراء الجيوسي - مركز دراسات الوحدة العربية.

(31) الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية - عبد الواسع الحميري - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

(32) جابر عصفور - معنى الحداثة في الشعر المعاصر - فصول العدد رقم 4.

مختارات شعرية

يجمع هذا الكتاب نصوصاً مختارة لواحدٍ وعشرين شاعراً وشاعرةً من خلفيّات ثقافية واجتماعية مختلفة، بصرف النظر عن أسباب وطرق مغادرتهم لسوريا، وإن كان معظمهم قد غادر بعد اندلاع الثورة أوائل عام 2011. وهم اليوم يعيشون في بلدان متفرقة في العالم العربي وخارجه، ويقطن العديد منهم في ألمانيا خصوصاً.

هذه المختارات هي محاولةٌ للإضاءة على التجربة الشعريّة السوريّة الناشئة في المنفى والتي تحمل في طيّاتها تنوّع أساليب الشعراء، تجاربهم، آراءهم وأعمارهم، وتقدّم صورة عن واقع الشعر السوري في الخارج، من دون تقييمه، وإنّما كشاهد على التغيّرات التي تطرأ على الشّعر وتتوازى مع المتغيّرات على الأرض. وعلى الرغم من أنّ معالم هذه التجربة لم تتبلور بعد، إلا أنها تبرهن محاولات فاعلة لأخذ الشّعر السوري إلى منحنيات أُخرى لا بدّ من أنها ستؤدّي إلى أماكن جديدة في الكتابة السورية.

المغيرة الهويدي

شاعر وناقد سوري ولد في الرقة عام 1979 يقيم في دولة الكويت. صدرت له مجموعة شعرية بعنوان «الحب لا يغادر البلاد».

ليس أوَّلها النصر... ليس آخرَها الهزيمة

ستنتهي الحرب

في صباحٍ لا يختلف عليه اثنان

ستواصل الأعشاب نموها تحت الركام

وستطير العصافير أمام عيون القطط غير آبهةٍ بما حدث

وستشرق الشمس إذا لم تكن السماء غائمة،

أو ستشرق في اليوم التالي..

ليس هذا مهماً

نحن نعرف أن لا شيء سيتغير

أعني، ربما سنعرف هذا لاحقاً

وأن انتهاء الحرب لا يعني بداية جديدة!

ستنتهي الحرب

وسيخرج الناس إلى الشوارع

وفي الوقت الذي تجد فيه يد مكنسةً تثير الغبار

ستجد يدٌ أخرى قميصاً مهترئاً،

تلمّع به ما بقي من أثاث البيت في صور العائلة

سيكون هنالك أطفال يفتشون بمرحٍ عن فوارغ الرصاص

وعما يصلح أن يكون بندقية!

وكما سيكون هنالك نساء ينظفن بيوتهن بصمت

سيكون هنالك رجالٌ يدخنون ويتحدثون بصوتٍ عالٍ

عما يجب فعله!

ستنتهي الحرب

وسيكون هنالك صمتٌ طويلٌ

تقطعه لعناتٌ متقطعة

وكثيفة

وسننصت جيّداً لصرير الأبواب كلّما فتحت

الأبواب التي صمدت مصادفةً

وسنضحك دونما سبب

وسنبكي لأسباب كثيرة

ليس آخرها النصر

وليس أوّلها الهزيمة!

ستنتهي الحرب

وسيكون الليل قاسياً أيضاً

عندما لا يكون هنالك متسعٌ للحديث عن حياةٍ قادمة

وعندما لا تجد الأم أغطيةً تكفي للجميع

أو زجاجة حليب معقمة..

عندما ينظر الأب إلى باب البيت

ويفكر بالأشجار التي أهدر تحت ظلالها انتظارات كثيرة!

ستنتهي الحرب

وسنجد حانةً تقدّم النبيذ وسحابة من دخان السجائر

وتلفازاً صامتاً يقدم نشرة مفصلة للأخبار

وشجاراً عند بابها لانلتفت إليه

وامرأة بساقٍ واحدة

ومكياج رخيص تمضغ العلك،

ثم تبصقه في وجه بائع اليانصيب

سنشرب كثيراً تحت ضوء أصفرَ

وأسلاكٍ تتدلى من السقف كمشانق صغيرة

وسنضرب بأكفّنا على الطاولة عندما ترتفع أصواتنا

ويستبدّ بنا الجدال حول تعريف ماحدث!

ستنتهي الحرب دون أن نعرف كيف ولماذا؟

نحرق الأسئلة مع خشب الأسرّة في تنك الزيت؛

لنتدفأ في زوايا الشوارع،

لنضيء مساحات ضيقة من وجوهنا المتعبة

وعندما يتناهى إلى مسامعنا صوتُ بكاء طفل

وضحكة عاهرة

سنضحك هذه المرة لسببٍ واضحٍ،

وسنبكي بعدها لأسبابٍ كثيرة

ليس آخرها النصر

وليس أولها الهزيمة!

بشرى البشوات

شاعرة وقاصة سورية ولدت القنيطرة عام 1976، تقيم في ألمانيا، تنشر في العديد من المنابر الثقافية.

هدنة الجنرال

البارحة صعدت الجبل

ملأت صرتي بالسكاكين

والجنود

الهدنة القريبة التي عقدها الله مع الجنرال

في حقيبتي مشط وبخور

فردة حذاء لصغيري

الذي ركل صوت القطار بعيداً

تفاوضنا مع الجنرال

قال: خذوا تذكرة واحدة

قطعة من أشلاء بيتكم

وإزميلاً كي تعيدوا نقش الحائط الجديد

غصناً من شجرة لبلاب للذكرى

طاولة خشبية

لكي يحبس أولادك في شقوقها النمل

بكيت كثيراً كأيّ امرأة عادية

تركت خلفها خرزاً ملوناً

وثيابا اشترتها من سوق التخفيضات

البارحة نمنا بلا عشاء

كي نصعد الجبل خفافاً

لدي قفل لكل حقيبة

وحبل سري تتدلى في نهايته كلمة سر

خطيئة يتيمة في حضن جاري

كان لدي ولد وبنت

ومظلة فتحتها فوق رؤوسهم

حتى لا يأكلهم الطير

نمنا في العراء

ينقصنا غريق

وبرعم لليقظة التي سحبها الدرك من أفواهنا

لم نصرخ ونحن نصعد

كانت أعضاؤنا مقددة

وكنت أماً فزعة

نسيت أن تصعد ظهر الجبل.

جولان حاجي

شاعر ومترجم سوري كردي ولد في الحسكة عام 1977، ويقيم في فرنسا. له عدة إصدارات في الشعر والترجمة، منها «نادي في الظلمات»، و«ثمة من يراك وحشاً»، و«ميزان الأذى»، و«دفاتر سريّة - أنطون تشيخوف»، و«دكتور جيكل ومستر هايد».

قَبْلَيْ

تحت البُطْمةِ البرتقاليّة،

عذرائِنا الساكتة،

تنتِشُ حبّةُ شعيرٍ محَتْ ثآليلَهما

ويهزُّ كبشي النائمُ قرنيهِ الحلزونيين

فيرنُّ جرسي بين صوفهِ المحَنَّى

ويصمتُ جدجدٌ على السلّمِ الخشبيّ.

بين ذراعي أبي، السمراوين النحيلتين،

تحت نجومِ الصيفِ الغزيرة

تتلمّسُ أمي في الهواءِ الكُحليّ

عند الوحمةِ المكوَّرةِ بلونِ الزبيب

أسفلَ أذنِها اليمنى

تتلمّسُ دبوساً نسيتْهُ في خِمارِها الموصليّ

دبوساً فضياً

وأزرقَ كقطرةِ الوشمِ الفاتحة

بين حاجبيها الرقيقين

ثم تطبِقُ جفنَها الناعس

على نيزكٍ ينسكب

وتحلمُ بولادتي مرّةً أخرى.

حسن إبراهيم الحسن

شاعر سوري ولد في ريف دمشق عام 1976، يقيم في ألمانيا، حاصل على عدة جوائز سورية وعربية، صدرت له أربعة دواوين شعرية هي «المبشرون بالحزن»، «ها أنت وحدي»، «غامضٌ مثل الحياة وواضح كالموت»، «خريف الأوسمة».

صور تذكارية مع بندقية

I

مشروعُ قاتلٍ أنا؛

سبَّابتي التي تُرَقِّصُ القلمْ..

قد تضغطُ الزنادَ -

قالَ ضابطُ التحقيقِ لي

II

عيناكَ..

قاسيتان - قالَ - كقاتلٍ،

كفَّاكَ قاسيتان،

من حفرِ المقابرِ - قلتُ،

تلهثُ مثلَ ذئبٍ - قالَ،

قلتُ:

منَ النزوحِ ...

سقطتُ..

ليسَ لأنَّ أخمصَ بندقيَّتهِ على كتفي هوى

بل أثقلتني صخرةُ التعبْ

قابيل جدُّكَ - قالَ،

لم أُجِبْ؛

هل تهمةُ الأشجار أخشابُ الصليبِ؟!

هلِ النبيذُ جريمةُ العنبْ؟!

III

مائلٌ كتفي؛

الظهيرةَ..

أحملُ القتلى،

المساءَ..

إلى المخيَّمِ أحملُ الحطبْ

من قالَ..

إنَّ البندقيَّةَ وحدها السببْ

IV

أتذكرُ الجنديَّ؛

شاربَهُ،

العصا،

أزرارَ سترته،

النياشين،

الحذاءَ،

البندقيَّةَ،

دمع أمّي،

والشتائمَ...

تحتَ جزمتهِ مسجّى كنتُ أمسكُ جمرةَ الدمعةْ

عيناي شاخصتانِ..

أرمقُ طفلتي،

لكنَّ أخمصَ بندقيَّتهِ هوى

كي يطفئَ الشمعةْ

V

في هذهِ الغابةْ

إن لم تكنْ ذئباً،

لقلبِ ضحيَّةٍ تحتاج – قالَ،

وكشّرَ الجنديُّ أنيابهْ

حمد عبود

شاعر سوري ولد في دير الزور عام 1987. يقيم في النمسا. صدر له «مطر الغيمة الأولى» في سوريا، و«الموت يصنع كعكة عيد الميلاد» في سويسرا باللغتين العربية والألمانية.

الموت ومقاماته

«لا تمت ميتةً عادية في حرب غير عادية».

تُخبرني صديقتي المريضة بزكام خفيف وعرضي أن للموت مقامات متفاوتة، وأنه ليس متساوياً، وأن الموتى ليسوا سواسية، يتساءل صديقي أيضاً: «كيف ستقابل وجه ربك إذا متَّ بأنفلونزا الخنازير مثلاً!».

فتاة مسكينة ثانية - ليست صديقتي - نجتْ لسبب ما لا أحد يعرفُ ماهيته من قذائف الحرب، لتموت بعد أن انزلقت فوق قشرة موز، فسقطت قتيلة، رحمها الله، لقد استحى أهلها وخجلوا أن يقولوا للجيران كيف ماتت ابنتهم، اكتفوا بدفنها وقراءة الفاتحة.

في الحرب غير العادية لا يُفضّل ولا يستحسن أن تموت كيفما تشاء، عليكَ أن تعلم بأن هناك قواعد وخيارات

متاحة ومحددة. أن تموتَ برصاص القناص فهو خير على خير، وإن كان ممكناً فمُتْ بقذيفة في ساعة محددة من اختيارك أنت، أو في ساعة مفاجئة تماماً كأي عيد ميلاد ادّعيتَ أنكَ نسيته، فقط لترسم على وجهك علامات المفاجأة والانبهار بعيد ميلادك الذي رتّبه الأصدقاء.

في الحرب غير العادية أيضاً لا تمت لوحدك، خذ معك من يسلّي وحشتك ويشاركك القبر. أعرفُ أباً كان يخافُ جداً على أولاده، عندما مات أخذ العائلة كلها معه، هذه هي التربية الحديثة والموت الحديث، وكله في سبيل تحقيق «كواليتي» ثنائية الحياة والموت بشكلٍ رفيع المستوى ونخبوي.

لا تنتحر أيضاً، فهذه موضة قديمة، سافر من دير الزور إلى حلب بدلاً من ذلك. كيف ستواجه وجه ربك إذا مُتَّ شبعاناً بنوبة قلبية لكثرة الشحوم الثلاثية في الشريان الأبهر؟ فعلاً هي حياة معقدةٌ جداً، وموتٌ بيروقراطي.

لا تهاجِر من أجل حياة أفضل، إنما هاجِر من أجل موت أفضل. وعليك أن تقتنصَ موتكَ المناسب في اللحظة المناسبة، وفي الحين الذي يموت فيه الكل بالرصاص فكّرْ بالذهاب والموت غرقاً، دَعْ أهلَ الحي يتكلمون عن إنجازك، وأهلك يفاخرون بك وبذكراك وموتك.

مُتْ نظيفاً معقماً بملح البحر بدل أن تموت بالكيماوي.

مُت بارداً في ثلاجة على الطريق السريع.

مُت اختناقاً بغبار الأبنية والمدارس المقصوفة.

مُت بفطرٍ سام من غابات مقدونيا، وشارِك فِطر فَطورك مع أصدقائك.

مُت وأنت تحاول أن تُنقذ طفلاً من الجفاف لأنه لم يذُق الحليب منذ ستة أشهر.

مُتْ لأنك نسيتَ الهوية، أو لأنك تأخرت في استخراج ورقة تأجيل خدمة العلم الإلزامية.

لكن لا تمُت بسبب زكامٍ اعتياديٍّ جداً وعرضي.

الموتُ ليس متساوياً قطعاً، فمن ماتَ وهو يقطع الحدود إلى تركيا ليس كمن مات وهو يعبر الحدود ليعود إلى سوريا، هذه واضحةٌ ولا شك.

وبالتأكيد من مات ليس كمن رأى الموت ألف مرة دون أن يناله، واكتفى بالكتابة عنه، كأن يقول إن الموت ليس متساوياً، والموتى ليسوا سواسية.

يمكنكم الاستماع إلى قصائد حمد عبود على الرابط التالي:

رامي العاشق

كاتب وشاعر فلسطيني سوري ولد في مدينة الشارقة، الإماراتية عام 1989، يقيم في ألمانيا. يكتب الفصحى وله فيها كتاب «منذ لم أمت» وديوان «سيراً على الأحلام»، وفي الشعر المحكي له ديوان «لابس تياب السفر»، وترجمت بعض نصوصه إلى لغات عدّة.

ما شردتني الحرب

-1-

بالـ كم سنة الـ مرقوا
دقّ الغياب بوابنا ورحنا
شي عا سجن
شي عا سما
شي ضلْ متل شجرة..
وما ضل شجر ببلادنا
ولا ضل بشر
ولا ضل في نحنا..

بالـ كم سنة الـ مرقوا
مدّت على كتفي جدايل دمعها

وقصّت شعرها
وبكِيت
وفتّح على خدا حزن
ما بيرتوي
متل البلد والدمّ

بالـ كم سنة الـ مرقوا
جرح الـ فتح بيناتنا
ما عاد عم ينلمّ

ببكي أنا
بتبكي..
- يا ريت ما شفتَكْ
- يا ريتْ صرتي إمْ!

بالـ كم سنة الـ مرقوا
صار الشعر أبيضْ
متل الـ كأنو الحرب وطحين وعتم وحجار مكسورة
ومتل الـ كأني مو أنا
ما بعرف الصورة

بالـ كم سنة الـ مرقوا
بلد الـ رِبي ع كتافنا اتكسّر
وحلم الـ كِبِر بصواتنا.. تهجّر

بالـ كم سنة الـ مرقوا
ما عاد في أكبر!

بالـ كم سنة الـ مرقوا
شدّ البحر حبلو على رقاب البشر
وقالت بلدنا: اطلعوا
وقال الغريب: ارجعوا
وقال العدو: لا تسمعوا، لا تطلعوا، لا ترجعوا...
ايدي وراكن طايلة
رح قطّف نجوم السما
تـ تعتّم عليكن..
خلّي بقى النجمات..
يهدوكن..
لو ضل فيهن يطلعوا

بالـ كم سنة الـ مرقوا
صارت معاجمنا....
حرب وهرب وسجون
دمّ وعتم وجنون
فتح الأمل بابو
هجموا نواطير العتم
نصبوا صليب ومسمرونا
ولملموا ضباع البراري
وشرّدوا عصافيرنا

وكل ما بأعلى صوت قالوا للدني
كوني عتم..
بتكون..

بالـ كم سنة الـ مرقوا
جرّبت حبّ ومَ قدرِتْ
جرّبت نام ومَ قدرتْ
بالـ كم سنة الـ مرقوا
ضيّعت أوّل بلد
ضيّعت تاني بلد
تالت بلد
رابع بلد
لا ضل أهل ولا ولد
بالـ كم سنة الـ مرقوا
كلّ الخراب الـ بالدني
تربّع على صدري
بالـ كم سنة الـ مرقوا
يا بنت... لا تِقري
ما بدي قلّك شو انكسرت
وشو حنى ضهري
غيابك لوحدو حرب
حضورك حلم أخضر
مدّي الحلم بيناتنا
بركي الحرب تخسر.

-2-

«ما شرّدتني الحرب»..
كلّ المدافع والعتم والخوف والحرمان..

كلّ السّواد الـ بالسجن..
والناس والسجّان..

كلّ الـ نزل من غيمة القاتل..
كلّ الـ نبَع من دمّ حارتنا
كل حجر عا حلّو..
كلّ القهر كلّو
وأدّيش نهنهني الحصار وما قلت «جوعان»

كلّن على بعضُن..
ما شردوني .. ولا على جسمي بقي
لون الوجع والضرب..
ما شرّدتني الحرب..

وحدو اللي شرّدني حلم ما لحّق يكاغي..
وحدو حضن.. ما ساعْ

ولا عمر عا باب العشق كفّى
!ولا قلب بـ سوق الحنين وخيمتو
نخّ ورضي ينباعْ!

ما شرّدتني الحرب..
وحدو اللي شرّدني..
هوّ اللي عندِك.. ضاع!

رائد وحش

كاتب وصحافي فلسطيني سوري، من مواليد دمشق 1981، صدر له في الشعر «لا أحد يحلم كأحد»، و«عندما لم تقع الحرب»، و«مشاة نلتقي.. مشاة نفترق»، وفي النثر «قطعة ناقصة من سماء دمشق»، وترجمت العديد من قصائده.

من الغائبين إلى الغائبين

منذ غابوا،

لا مكان للقاء

إلا المنام..

ينتظروننا كلّ يومٍ

بثيابٍ نظيفةٍ

وذقون حليقةٍ

كما يليق بالمواعيد العاطفية..

يعاتبون عيوننا

إنْ تأخّرت في الإغماض،

ويحزنهم أن يلمسوا فيها

أولَ الإصباح..

يريدوننا أن نبقى هناك

لشدّة ما يقضون وقتاً مملاً..

بينما نتذّرع بأشياء ضرورية

كي نغادرهم إلى حياةٍ

لا نفعل فيها شيئاً

سوى انتظارهم..

هل نحن من نصحو لنلتحق بهم؟

أم أنهم من ينامون لينضموا إلينا؟

كلنا غائبون

عنهم

وعنا

وينقصنا موتٌ يجمع شمل العائلة.

رشا حبال

شاعرة سورية ولدت في حماه عام 1982، تعيش في ألمانيا، صدر لها ديوان «قليلٌ منك كثيرٌ من الملح»، وشاركت في أنطولوجيا قسم الدراسات النسوية «ألمانيا»، وأنطولوجيا عن الشعر العربي المعاصر باليونانية.

محضر أقوالي للرب

لم أقترف سوى الخطايا

ولهذا

قلت للرب البارحة

أنا حزينة

وجسدي ميت

والأسماك لم تعد تبيض تحت جلدي

ووحده الفراغ يصطاد على الضفة

لكن الرب لم يصرخ!

وزاد الصقيع

عدت لارتكاب الخطايا

وقلت اليوم للرب

أنا آكل نفسي

ولم يبق مني سوى فم جائع

أخاف أيها الرب

إن أكلتُهُ

ألا يبقى في صحن حبيبي عشاء

لم يبك الرب

وزاد الصقيع!

سأرتكب الخطيئة الأخيرة غداً

سأقول للرب

أنا نهر قصير

لكنني أطول من حبل الكذب

ستساعدني أسماكي النافقة

ستفتح فمها

ستغلقه

وسأصدق أنها تتنفس

لكن السماء لن تسبح

وسيزداد الصقيع!

كل مفاتيح الأيام مع الرب

ولهذا لم أسأل يوماً

لم الأبواب مغلقة؟

.....

في العراء

انتظرت أمام الأبواب

انتظرت طويلاً

ولم أسمع ولو لمرة

خشخشة المفاتيح الكثيرة

.....

ليلاً

كانت تأتي كل ذئاب الأرض

وكنتُ أنام بين الفراء

حالمة

بقمر أبيض

وبظل عواء طويل

يناديني

فأمضي نحوه

تاركة كل الأبواب.

رشا عمران

شاعرة وكاتبة سورية ولدت في طرطوس عام 1964، تقيم في مصر، أصدرت «التي سكنت البيت قبلي»، و«رجع له شكل الحياة»، و«كأن منفاي جسدي»، و«ظلك الممتد في أقصى حنيني»، و«معطف أحمر فارغ»، و«بانوراما الموت والوحشة» (2014)، ومجموعة مترجمة إلى اللغة السويدية، وأصدرت أنطولوجيا الشعر السوري من 1980 إلى عام 2008.

شهوة

أريد أن أكتب عن الحياة،

الحياة في رئتي عصفور صغير يحاول الدخول من درفة النافذة الموارية فيضرب رأسه بالخشب

الحياة في جناحي فراشة شفافة تقترب من أثر الضوء وهي تعتقد أن السلام يكمن هناك، فيحترق طرف جناحها الأيسر

الحياة في بطء نملة تسير على حافة الجدار وهي تحلم بذرة سكر ستجدها في مكان ما

أريد أن أكتب عن الحياة

وأنا أشم رائحة جلدك كذئبة متوجسة حين تتصل بي

أو حين يبدأ الخدر اللذيذ يعرش على جسدي كلما سمعت صوتك، ثم أحتفل وحدي بكل هذا الحب الذي لا يعرف به أحد غيري.

أريد أن أكتب عن الحياة

عن الذين يفردون أحلامهم ولا ينتبهون كيف تنحني ظهورهم وهم ينقون الأحلام من الحصى والتراب

عن الذين يحملون بيوتهم على أكتافهم، يحتمون بها كلما مر معول الموت وهو يحفر في الدروب حولهم

عن الذين يختمون غصة القهر بالسخرية كما لو كانوا يرسمون على جدران التاريخ أعيناً مفتوحة

أريد أن أكتب عن الحياة، أنا التي قضمت الحياة أصابعي اليمنى كما يقضم فأر لعبة بلاستيكية، وراقبتها دون أن أبالي، ثم مددت لها اليسرى دون أن أشعر بالندم.

عارف حمزة

شاعر سوري كردي ولد في الحسكة عام 1974، مقيم في ألمانيا، ترجم عدد من قصائده إلى نحو عشر لغات، له سبعة إصدارات شعرية آخرها «لا أريد لأحدٍ أن ينقذني».

نصف قمر

نصف قمر يسطع الآن فوق مدنٍ

لم يبقَ فيها أحد.

نصف قمر يؤلمني

كانشطار وجهكِ بفأس.

تحت هذا النصف من القمر الضعيف

حملنا أولادَنا إلى الأسرّة

بينما حملهم الآخرون

إلى القبور!!

لستَ وحيداً

الأمُّ ماتت.

الزوجة والأولاد.

السقفُ يستلقي على الأرضيّة

منتفخاً في بعض الأماكن

بسبب أصص الورد

والنظرات الأخيرة.

/

منذ يومين

وأنت تعيش

مع ألم الأسنان

ما عدتَ وحيداً إذاً.

أمنية

في الباص

في الطريق إلى بيتكِ

وأنت تنظرين إلى شجرة محترقة... إلى جثة.

عندما يرتجُّ جسدكِ بسبب حصاة صغيرة

أو كبيرة،

في الطريق إلى بيتك

وأنتِ تتأمّلين يداً مقطوعة

أتمنّى

لو كنتُ

مكانها.

عبد الكريم بدرخان

شاعر سوري ولد في حمص عام 1986، يقيم في النرويج، صدرتْ له ثلاث مجموعات شعرية: «جنازة العروس»، و«كما أشتهيكِ وأكثرْ»، و«لون الماء». صدرت له ترجمات شعرية لمايا آنجلو وسارة تيسديل وتشارلز بوكوفسكي، إضافةً إلى روايات مترجمة.

الكتابة في درجة الصفر

أكتبُ الآنَ في درْجةِ الصفرِ

حيثُ الهواءُ تجمَّدَ في رئتـيْ

وانكسَـرْ

العصافيرُ تهربُ منّـي كأنيَ فـزّاعةُ

ذكرياتي عصافيرُ تتبعُ سربَ العصافيرِ ذاكَ

ووحديْ...

أُلملمُ ظلِّـي المكسَّـرَ فوقَ الحجرْ

وأوقظُ نبضاتِ قلبي الضعيفِ

أحاولُ بالكادِ حملَ القلمْ

أحـكُّ على صفحاتِ البياضِ خلايا دميْ

درْجةُ الصفرِ زرقاءُ

والحبرُ... زُرْقـةُ دَمْ!

قلتُ إنّ الهواءَ انكسَرْ!

أعبُرُ الآنَ جدرانَ أمسيْ

وأقرأُ أوجُهَـهُـمْ في الصُـوَرْ

أتذكّـرُ وجهاً غريباً كوجهيْ

خيالاً يسيرُ على أَرْجُـلٍ

أزرقَ الدمعِ والدمِ والحلْـمِ

مُـنخطِـفَ اللونِ مثلَ القمرْ

أذكرُ الآنَ وجهَ أخـيْ

وهْو يعبرُ أيامـهُ بينَ كأسٍ ومشنقةٍ

(أزرقٌ كأسُــهُ - موتُـهُ)

ساهراً بين أشباحهِ

ناسجاً من خيوطِ السُهادِ فضاءَ السَهَرْ

أذكرُ الآنَ صوتَ أخيْ

حينَ عبَّ جرارَ الأنينِ المعتّقِ

فانتفضتْ زُرقةُ الموتِ في روحهِ

وانتحَرْ!

أكتبُ الآنَ في درْجةِ الصفرِ

حيثُ أضمُّ رفاقَ الحياةْ

كلُّهمْ رحلوا...

وضِحْكاتُهُمْ تتساقطُ من أعيُنيْ دَمَعَاتْ

أكتبُ الآنَ في لحظةِ الموتِ سِفْرَ الحياةْ

أحُوكُ خيوطَ الحياةِ التي مزَّقتْها الحياةْ

الهواءُ انكسَرْ

والسماءُ رماديةُ الوجهِ

والأرضُ تشربُ ماءَ الرماد،

وفي درْجةِ الصفرِ وجهيَ أزرقُ / عيناىَ / صوتي

شفاهي التي تتجمّدُ وهْيَ تدمدمُ للطفلِ:

«نَمْ

فوق شوكِ الندَمْ

كلُّ ما في الوجودِ... عَدَمْ»

قلتُ للطفلِ: «نَمْ

ذروةُ المجدِ... قاعُ الألَمْ»

أكتبُ الآن في درْجةِ الصفرِ

بالدمعِ أرسمُ مرثيّةً

بالأظافرِ أحفرُ نهراً على جسديْ

(أزرقَ الماءِ...)

ألمسُ جدرانَ قبري

وأُحصي بقايا لُهاثي،

وفي درْجةِ الصفرِ

أغرقُ - كنتُ - وأستغرِقُ

غيرَ أنّ الفتاةَ التي قبَّلتْ جُثّتي

ثوبُها أزرقُ...

عبود سمعو

شاعر سوري ولد في منبج عام 1992. يقيم في لبنان، وله إصدار شعري بعنوان «البريد التاسع».

شهادة ميلاد

أمسكُ الريح من طرف ثوبها

وأبكي..

أنا طفلها المدلّل

أنا آخر العنقود

وعدتني بأنها ستشتري لي غيمةً

في الصيف

شريطة أن أنام مبكراً

وأنهي فروضي المدرسية

ألّا أشاهد نشرة الأخبار

وعدتها بأنّي سأتوقف عن قضم أظافري

بعد كل مجزرة

وأن أقلع عن تدخين سجائر الحمراء

وأستبدل القهوة اللذيذة المرّة

بالحليب

ألّا أشتم أدونيس

مرّة في العام

قبل قليل انتهيتُ من جلي الصحون

وفناجين قهوتي

وأفرغتُ منفضتي الممتلئة

علي سفر

كاتب وشاعر سوري ولد في حمص عام 1969. يقيم في تركيا، صدر له «يوميات ميكانيكية»، و«بلاغة المكان» و«صمت»، و«يستودع الإياب»، و«اصطياد الجملة الضالة». و«طفل المدينة»، وأيضاً «أنطولوجيا الشعر التسعيني في سوريا».

مزاميرُ إزميرَ

فجأةً نبتَت للرَّجلِ زعانفُ، وأمسى قادراً على الخوض في البحر الأزرق المخيف.. حتّى أنَّه استطاعَ أن يفتحَ عينَيه تحتَ الماء ليرى القاعَ، حيثُ كانَت هناكَ نفاياتٌ مَعدنيَّةٌ مُهترِئة، والكثيرُ من أكياسِ النَّايلونِ العالِقةِ بالصُّخور، وأيضاً ستراتِ نجاةٍ رماها اللاّجئونَ بعدَ أن اقتربُوا من الشَّاطئَ فسحبَها الموجُ إلى أسفل. الموجُ لا يدلُّ الرَّجلَ الَّذي بزعانفَ غريبةٍ على طريقٍ إلى الشّمال، كما لا يرشدُه إلى حوريَّة بحرٍ... فقط يمضي به إلى حيثُ يمكِنُ له أن يكونَ غريقاً بكرامةِ إنسانٍ، فبعدَ قليلٍ ستأتي الأسماكُ الكبيرةُ والصَّغيرةُ لترى فيه جزءاً مُكمِلاً للدَّورة الغذائيَّة الطَّبيعيَّة للكائناتِ البحريَّة، فكلُّ ما رآهُ في القاعِ ليسَ بشيءٍ مُفيدٍ، كما أنَّ الطَّوفَ على السَّطح سيمدِّدُ

من فترةِ العذابِ تحتَ أشعةِ الشَّمس، فخفرُ السَّواحلِ لن يهتمُّوا بالجُثث، بل سيتركونَها حتّى ينتهوا من إنقاذ الأحياءِ... الزَّعانِفُ الَّتي ظهرَت فجأةً بدأَت بالاختفاءِ، بدا الأمرُ وكأنَّه تعرٍّ محسوبٌ بمواقيتَ مُحدَّدة، فمَع الاقترابِ من القاعِ كانَ كلّ شيءٍ ينفكّ عن الجسدِ، حتى الثيابِ كانَت تنخلعُ وتبتعدُ.. مثل الصُّور العالِقة في الرَّأسِ.. صورٌ شتّى، وطنٌ هدمَه الطُّغاةُ، مسالكُ الهروبِ بينَ الحدودِ، وجوهُ المُهرِّبين، رفاقُ الرُّكوب في البلم.. صراخُ الرُّعبِ من تَسرُّبِ الماء..

كانَ القاعُ يناسبُ الغريقَ في عُريه، بينَما كانَ البحرُ الأزرقُ في الأعلى يبدو كُحلياً مائِلاً للموتِ قليلاً..

غياث المدهون

شاعر فلسطيني سوري ولد في دمشق عام 1979، يقيم في السويد، وله إصدارات عدّة في الشعر منها: «أدرينالين»، و«لا أستطيع الحضور»، و«طلب لجوء»، مترجم إلى السويدية، و«أنا هنا، أنا هناك» مجموعة شعرية باللغة الهولندية بالشراكة مع الشاعرة الهولندية آنا فيجتر

الحليب الأسود

تخرجينَ من وراءِ الكواليس، أخرجُ من وراءِ الكوابيس، مبتسماً كأنَّ الحربَ لم تأكلْ أخي. وفي تلك الأيّام، حين كان أصدقائي السوريّون يموتون تحت التعذيب، كان أصدقائي الأوروبيّون ينسحبون بهدوءٍ من جرحي الذي يخدشُ حياتهم البيضاءَ، ولا يتناسبُ في أيِّ حالٍ من الأحوال مع المعايير الغربية المتعارف عليها عن شكل الألم.

في تلك الأيّام، كنتُ أهمسُ في أُذنكِ بما يهمسُ به رجلٌ لامرأةٍ حين يأكلها، وفي الزمكان نفسه الذي كنتِ تنامين فيه بهدوءٍ مثل بحيرةٍ في شمال السويد، كانتِ الحربُ

تجلسُ على حافة سريري كأنّها زوجتي، وكانت آيات القرآن التي ضربَني معلّم الابتدائية كي أحفظها هي الشيءُ الوحيدُ الذي يساعدني على النوم. يا الله! لقد أكلَ الذئبُ قطعةً من قلبي، ودمّرتِ البراميلُ دفتري. يا الله! لقد أكلني الذئبُ حقيقةً لا مجازاً، وأغرقَ المتوسّطُ مائي. أنا الذي كنتُ أمشي في الأرض مَرَحاً، لكنهم سرقوا أصدقائي و«انتحروهم» في دمشق، فانكسرَ كأسُ الماء البارد الذي كان يبلّلُ عَطَشي، وورثَ الشعراءُ أصابعي. أصدقائي أصبحوا ذكرياتٍ، قُطّاع طُرُقٍ مقطوعةٍ أصلاً، أقصدُ قُطّاع أوتوستراداتٍ بين مُدُنٍ محاصرةٍ بالجوع والأدرينالين، وفي الزمكان نفسه الذي أتمتّعُ فيه بالرفاهية في أقصى شمال أوروبا، في بلدٍ يحوي سبعاً وتسعين ألفاً وخمسمئة بحيرةٍ من الماء العذب، تخبرني أمّي أنّها عطشانة، فأتذكّر رواية الغريب...

...

وأحاول ألا أتذكّرُ ألبير كامو.

مبتسماً كأنَّ الحربَ لم تأكلْ أخي،

أتسلّقُ جبل الكرمل مثل عريشة عنبٍ

كي أظهرَ بجانبكِ في الصورة العائلية،

فتقفينَ بجانبي مُرَّةً كالحقيقة،

ودافئةً مثل رصاصة،

وطويلةً مثل يوم الأحد.

امرأةٌ بذاكرةٍ مثقوبةٍ، يسيلُ منها قلبي على شكلِ فراشة،

كلّما فكّرتُ فيها تفكيراً مشروعاً

يرفضُ قلبي أنْ يرضخَ للشريعة الإسلامية،

ويرفضُ الشعرُ أنْ يطاوعني على تكرار المجازاتِ الباليةِ للشعراء الكلاسيكيين،

يرفضُ البنكُ أنْ يمنحني قرضاً، كي أشتري حصاناً،

يرفضُ أمراءُ الحرب أنْ يصبحوا أمراءَ سِلْم،

يرفضُ الأطفال أنْ يلعبوا معي حين أمرُّ في الحارة، لأنَّ أهلهم حذّروهم من الغرباء.

أنا لن أعلِّم أبنائي أنْ يخافوا الغرباء،

فأنا واحد منهم،

لن أقولَ لهم لا تكلّموا الرجلَ الغريب،

فذلك أنا،

أنا الغريبُ الذي فَقَدَ يده في الحرب،

الأرملُ الذي لم تمتْ زوجَتُه،

المهاجرُ الذي لم يغرقْ في المتوسّط،

المؤمن الذي قبّلكِ على حائط الجامع

فارتجفَ الشيخُ في صلاتِه خوفاً من غضب الله،

اللاجئ الذي فتّشوه، فوجدوا ذكرياته مخبّأةً بين الأجوبةِ الماكرة،

أنا الذي أحببتُكِ بتوحّشٍ،

وقبّلتُكِ دون أنْ أعرفَ الفرق بين وجهكِ والسكون،

حول منزلكِ أعوي كذئبٍ مجروح،

وفي ليلِكِ الحالكِ، أضيءُ أرجوانياً خافتاً كجمرة سيجارة في الظلام،

كلّما لفظتُ اسمكِ يُتأتئ قلبي،

كأنني أولَدُ من أمي مرّةً أُخرى،

كأنني ألمسُ خصرَكِ بيدي المقطوعة،

كلَّما مررتُ بلساني فوق جلدكِ، يتلعثمُ شِعْرِي،

كلَّما...،

إنَّما أنا ألمسُ ينبوعكِ، كي أبلِّلَ قلبي الذي شقَّقَه الجفاف،

كلَّما...،

إنَّما أنا أشرب صوتكِ المبلول بالماء، كي لا يقتلني العطش،

إنَّما...

فادي جومر

شاعر سوري ولد في دمشق عام 1979، يقيم في ألمانيا، صدر له «كليلة ودمنة» مسرحية شعرية ترجمت للفرنسية، وله مجموعة شعرية قيد الطبع.

تشرين

تشرين ما غيّر

بعدو مِتل ما كان.. وِدَاع العنب والتين

وكل ما إجا تشرين عم إكبر

والوقت متل البال

عم يقصر

تشرين ما غيّر

تشرين ما غيّر..

آخِر دفا بالدرب

وآخر ورق أخضر..

وريحة مطر وهموم

ووجه التعب أصفر

حتى العشق دبلان

وقاعد على رصيف الصبر

ختيار عم يسكر

تشرين.. ما غيّر..

غيم السما تلملم

ودمّع على فراق البياض بصفحتو

ما عاد عم يسهر

والكاس شتوي والبرد لوّح

حتى الحلو.. مرمر

تشرين ما غيّر

قاسي على الفقرا

أزعر مع الشجرة

شمتان بالصيف الـ معو ختير

تشرين ما غيّر

بس الحكي.. صاير حكي

ما عاد عم يطلع من قلوب البشر

ولا عاد ع غصون القلب.. زهّر

تشرين ما غيّر

أنت اللي صاير يا حلو: تشرين

من بعد ما كنت الوفا.. يا أسمر...

فريد ياغي

شاعر فلسطيني سوري ولد في دمشق عام 1991. يقيم في ألمانيا، له ديوان «العائدون من المنافي»، وكان قد فاز بجائزة الشارقة للإبداع العربي.

لا بلاد لهم لكي يتغربوا

هُم لا بلادَ لهمْ لكي يَتغرَّبوا

عينانِ داميتانِ..

ظهرٌ أحدبُ

.

ذُريّةٌ غبراء..

رَحمٌ باهتٌ لا يشبهُ الأرحامَ

لكن يُنجبُ

.

صوتٌ عروقُ النّاي تعرفُ وَحيهُ

ويصيرُ أعلى حينَ كانت تُثْقَبُ

.

ولِدوا هناكَ... وأُمّهم خَرسَاء

لم تُفصِح إذا ما كانَ يعرفهمْ أبُ

.

هم صورةٌ في المَاء تُغرِقُ نفسها ظِلاً يُعذِّبُ ظِلّهُ فيُعذَّبُ

.

الكونُ جِذعهمُ

وكلُّ الأرض مِسمارُ يُحضِّرُ رَفعهُم كي يُصلَبوا

.

والحقّ كَالبيداءِ

ليسَ يزورُهم إلاّ وكانَ جَبينهمُ يَتصبَّبُ

.

هُم لا بلادَ لَهم

فَصَاروا كَالمياهِ

لكلِّ أرضٍ دونها تَتسرَّبُ

محمد المطرود

شاعر وناقد سوري ولد في القامشلي عام 1970. يقيم في ألمانيا، له خمسة كتب مطبوعة آخرها «اسمه أحمد وظلّه النار»، وأسس جماعة حالة الثقافية والاجتماعية في ألمانيا.

أنا ذئبة نفسي

تربضُ الآنَ ذئبةٌ كَهلةٌ في رأسي، تَتَرصّدُ الإبلَ والخرفانَ والثعالبَ والصيادينَ والبَدو، لا تَصيدُ أمراً مما ترىَ، ولا تفتكُ بأحدٍ يمرُّ أمام شاشةِ الدم، مهدوراً علىَ نطعِ المرضِ والاحتمالِ الضئيلِ بالنجاةِ، سوىَ أنّها تُعمِلُ مخلبَها في اللحمِ النيءِ مشغولاً بالفكرةِ، ومستوياً أخيراً مَوضعاً ليّناً للحرب والحبِّ والاعتذارِ والندَم. الذئبةُ أحدٌ قريبُ، ولها وشمُ حيلةٍ أسفلَ القلبِ، تصطادُ بهِ العشّاقَ والناجينَ بالأحلامِ منَ الأوهام، كأن يتَدَلوا بلا حبالٍ من سابعِ سماءٍ إلى جوفِ الهاويةِ، معلّقينَ كما لو أنّهم يملكونَ الجنّةَ والجحيمَ معاً، ويتأرجحونَ مخيّرينَ بينَ النقيضينَ!

أقدّم اعتذاراً شبيهاً برثاءِ النَفسِ، كأنني أحدٌ سوايَ
مشطورٌ إلى نصفين مختلفين، تتقاتلُ ظلالهما،
ويتصالحانِ في النسيانِ، لأنسىَ هل دفنتُ روحي في
مكان ما معتمٍ من أمنياتٍ لا تتحققُ، أمْ دفنتُ طفلي،
حتى رأيتُ القبرَ فضفاضاً عليهِ والدودَ عَجولاً إلى
هشاشتهِ، فهلتُ جسدي مع الترابِ إلىَ جوفِ النسيان
الذي حسبتهُ مقبرة، وحسبتُني أُعيدُ ما ضاعَ مني،
وأحمي بضعفي الغنيّ ما لا أستطيعُ ردَّهُ وقد أخذتهُ
المنونُ وروحُ الفقدِ المستذئبةُ، فصكّتْ دونَهُ أبوابٌ وغلّقتْ
عليهِ مصاريعُ، وما اعتذاري من كلّ أحدٍ قتلتهُ أو نويتُ
قتلَهُ إلّا تكفيرٌ وجهرٌ بالذي سكنَني وأخذني عنوةً إلى ما
لا أشتهي، فأنا الآنَ بينَ وهجِ نفسي المتوثبةِ كذئبٍ فيما
مضى وبينَ ذئبةٍ تَثِبُ متثاقلةً على روحي، بعدما فتيّةً
كانت وطويلةً، وإذا انحدرتْ من جبالٍ قريبةٍ، تجيء ومعها
قبائلُ تفتكُ بالزرعِ والحيوانِ والآبارِ، وتوطِدُ علاقاتِ حبٍّ
معَ الجسورينَ. كنتُ ضحيةَ هذا السحر، وعسايَ هنا لا
أعتذر، حَسبي نطقتُ بلسانِ الذئبةِ التي تذرعُ رأسي،
مُتَرجِلاً عن حصاني في فلاةِ السَبقِ الفسيحةِ، داخلاً
دائرةَ النارِ الشديدةِ، حابساً فيها جسارتي، ومتنازلاً بكلّ
طواعيةٍ عن فارسٍ كنتهُ، عَلْمتهُ الرمايةَ وطِرادَ الطرائد،
فلما اشتدَّتْ حيلتُهُ تركتهُ للحبّ يفتكُ بهِ، ويرميهِ مثلَ شاةٍ
عليلةٍ في يومٍ مظلمٍ وباردٍ والطريقُ مَمشىَ ذئابٍ جائعة.

أقدِم اعتذاراً لكلّ من أكلَني في ليلِ المكاشفةِ وفوّتَ عليَّ الدهشةَ بأنْ أرانيَ «ونفسيَ اللوامةَ» مسحولاً في أرضٍ ليست لي، ومن أجلِ أحدٍ كانَ يرشي الأقدارَ، ويقدمُ النذورَ ليشهدَ موتي أو بالذي يشي بانطفائي!

حينَ لم أتحدّثْ بما أحسستُ، وأشرقتُ في نصفيَّ الحيِّ المحرَّرِ من أنثىَ المرضِ، فقد جررتُ نصفيَّ الميتَ خلفي، وتعايشتُ مع نصفِ جثةٍ، ليس كما يفعلُ مشلولٌ معَ عاهتهِ، إنّما كما يفعلُ عاقلٌ صَحيحٌ معَ أحدٍ ذي عاهةٍ لأبرأ منها، أفعل هذا لأنَّ ذئبةٌ كهلةٌ تلبّستني ونطقَتْ باسمي، وهي تعتاشُ في رأسي، تأكلُ أحاسيسي الثريةَ شيئاً فشيئاً، قطعةً تلوَ الأخرى، هي تتَضخَمُ، وأنا أضمرُ وطريقي إلىَ النهايات واضحٌ، حيثُ لا اسمَ ولا قوامَ ولا رأياً خاصّاً لي في هذا الكون، وأعترفُ أنيَّ نكّلتُ بأفكارٍ كثيرةٍ، وجرّبتُ أنْ أكونَ معافىَ وأنطقَ بالهوىَ وما يوحى إليَّ من قوةٍ طيَّ الخفاءِ لا أتبينها، وليسَ ما تقولهُ ذئبةٌ عجوزُ أنيابُها تشتغلُ بدأب في رأسي ومخالبُها تهرشُ دمي، وتحدثُ ضوضاءً عارمةً، أنا الآنَ مجردُ صوتٍ أو جلجلةٌ أو طرقٌ لجوجٌ علىَ بابِ السجنِ أو ارتطامُ غيمتينِ ببعضهما، أو نحاساً أصدرَ أنيناً بمحضِ الصدفةِ، أو جنيّاً صرخَ في وادي الظلماتِ، فردّت عليهِ جميعُ الجنيّات: واااه!

وأنا الآن الذئبةُ الكهلةُ استوطَنَت رأساً كانَ عنيداً، يفكرُ بامتلاكِ العالم، الذئبة سَتحيا بي، تأكلُ ما اَكلُ، تحِبُّ ما أحبُّ، وتعتادُ ما اعتدتُ من الهوانِ والسيادة، وتموتُ أخيراً في جسدي، لستُ ابنَ هذهِ الذئبة ولازوجَها ولا ظلّها، ولو جاز لي أنْ أفسّر هذا الرباطَ لفسرتهُ، غيرَ أنيّ مشغولٌ بالأسْرِ والدائرةُ تضيقُ أكثرَ فأكثرَ، ليسَ بعيداً عن نافذةٍ تطلُّ على حديقةِ النجاةِ، إنّما قريباً من حبلِ الأنشوطةِ.

وإذا امتلكتُ يوماً ما مخالباً وأنياباً، واكتسبَ جلدي وبراً لَهُ مَلاسةَ حَجرَ الصوّانِ الذي تَدَحرجَ عليهِ وعطراً من صنوبرٍ أنثوي حينَ أنزلُ جبلاً صوبَ سهلٍ مشغولٍ بالحربِ وناسهُ ينجونَ بالنارِ من النارِ، سأنتصرُ لي من ذئبةٍ صارت أنا، وسأموتُ سعيداً بما تبقىَّ من مرضٍ اسمهُ حبُّ الحياة.

ميس الريم قرفول

شاعرة سورية ولدت في طرطوس عام 1985، تقيم في فرنسا. نشرت عدداً من نصوصها في مجلات عربية وفرنسية، وصدر لها «حين ساعدنا الحرب لتعبر».

إبحار الموتى

حرك حجارة قبره حجرة

انزاح الغبار ووقعت ورقات من صوت المؤذن

كان قد نسيها لما راح

أدخل زبدة أصابعه في قمح الأرض

داعب خصرها وطلب منها ماء

ريثما ينتهي عطش الميتين وتعاد الحكايا تطرز جروحهم في الشتاء

انثنى على ضلوعه وفي قلبه الفارغ

تلوح سفينة لمن يريد الذهاب

فضاؤه القاسي؛

شموعه الزكية في باطن الأرض أشعلت دروباً لمن أراد الدخول

وكسْرَ خابية الوقت قليلاً

بالتفرج على الموتى

مباركةِ لهم مسيرهم

وسؤالهم ماذا يحدث معهم

هل انتهى الموت لما ماتوا

هل يذكروننا لما كنا معهم

هل مواعيد العشاء ذاتها أم أنهم لا يأكلون

ينامون على ضلع وارد من معاني أرقنا ويمتصون

دموعنا حتى إذا ما اسود الليل حولوها لحبر قاتم

وأبحروا

نور كنج

شاعرة سورية ولدت في السويداء عام 1990، تقيم في ألمانيا، ترجمت عدد من نصوصها إلى الألمانية ولها مخطوط شعري قيد الطبع.

الذكريات السّيئة

المحبة التي لم أكن أفهمها!

القلق الذي كان يرافق صباح الخير،

الجثث التي كنت أسميها عائلة،

الشجارات التي انتهت بحقيبة،

والصور التي لم أعد في وسطها،

عتبة الباب.

الأصدقاء الذين بصعوبة أتذكر أسماءهم!

الجارات اللواتي يمتلكن ذات الرائحة،

الدرج الذي ينظَّف مرتين في الأسبوع،

الغضب الذي يطهر نفسه كل يوم.

الغرفة التي تنتَظر،

الأخوات اللواتي أفتقد.

الرغباتٍ الغامضة والحقيرة، معاً

والتي أعرف أنها ستنقضي الآن.

كما الأيام...

التي مضت

التي تشبه قبلها

التي أستطيع توقعها!

التي تحدث دون أي دهشة،

والتي تذهب فقط.

وما تخلّفه وراءها من ألم...

الألم الذي أحبّ

الذي أحتاجه

من أجل الحذر

من أجل ما لم يأت بعد،

من أجل أن أبقى

بعيداً عن الآخرين.

وداد نبـي

شاعرة سورية كردية ولدت في كوباني عام 1985، تعيش في ألمانيا، تُرجم عدد من نصوصها إلى الألمانية ولها إصداران شعريان: «الموت كما لو كان خردة،» و«ظهيرة حب.. ظهيرة حرب».

حينما لا يعودُ لي ما أفعلهُ

حينما لا يعودُ لي ما أفعلهُ

حينما لا تدهسُني الشاحنة الكبيرة

حينما تنتهي القهوة من مطبخي ولا أجدُ سيجارة واحدة أدخنها

حينما لا تنتابني رغبة في الحُب أو التنزه في الحديقة

والإصغاء لأغاني «ليونارد كوهين»

حينما تنتهي صديقاتي من إفراغِ خيباتهن وبؤسهن في وجهي

حينها أكتبُ شِعراً

أو نثراً طويلاً

أكتبُ عن نساءٍ يقُتلن الحب بكعبِ حذائهن العالي

عن حُبٍّ يقتلُ النساء حينما يأتي متأخراً وينام معهن

على أسرتهن بين عناق أزواجهن

عن شهواتٍ تبقى حبيسة أجسادٍ هرمة

عن أجسادٍ فتية صالحة للحُب مختبئة تحت أوراق التين الخضراء

عن قبلٍ سُرقت من شفاهِ عاشقين

عن شفاهٍ رديئة سرقت القُبل

عن امرأة تخون زوجها

عن زوج يخون زوجتهُ

عن رائحة عفونة تصدرُ من أجسادِ نساء ورجال لم يلمس الحُب شهوتهم

عن أكاذيب يرددها الجميع

عن خيانة يمارسها الجميع

عن بلادٍ بالية

على سرير كل زوجين فيها يوجدُ «ثالثٌ» يستمني

بخيال كل زوجين على حدة

حينما لا يعودُ لي ما أفعله

ولا تدهسُني الشاحنة الكبيرة

ويهربُ الشِعر من أصابعي

أبصقُ بوجهِ العالم الرديء

أرمي كل ما كتبتهُ في الحديقةِ الخلفية لحيواتهم المتعددة

وأبتسمُ لطائرٍ يُحلقُ في البعيد.

وفائي ليلا

شاعر سوري ولد في دمشق عام 1964، يقيم في السويد، له ستة إصدارات شعرية طبعت في كل من تركيا وبيروت ودمشق وإيطاليا وتركيا، كان آخرها «اسمي أربعة أرقام».

اسمي.. أربعة أرقام

لي أصدقاءٌ ألتقطُ معهمُ الصورَ

أمهاتٌ يخدعنني بالضمِّ

أباء يقذفونني أبعدَ كلما تسنى لهم

بيوتٌ أجلسُ في آخرِ زواياها مثلَ طفلٍ مُعَاقَبٍ

هاتفي لا يطلبهُ أحدٌ

رغمَ أنهُ مشغولٌ طوالَ الوقتِ

غالباً ينقذني الآخَرونَ بعدَ فواتِ الأوانِ

غالباً يهرعُ الأطباءُ

حيثُ لم يعد من فائدة.

أشغلُ أقلَّ من مترٍ ونصف منَ الفراغ..

لا أتبولُ على أطرافِ الحمامِ

وأرضخُ لكلِّ الأوامرِ والتعليماتِ

أعيشُ في الخضوعِ

وأموتُ بالطاعةِ

المُدّلكُ الذي كانَ يُمسّدُ عضلاتيَ المتوترة، وأنا واقفٌ وظهري لهُ قالَ لي:

- أبي كانَ مُغسِّلاً للأموات.

كانَ يضغطُ بِرفقٍ على عضلةِ العُنق،

رائحةُ السدرِ والكافورِ تفوحُ من ثيابهِ كلما عادَ منَ الدفنِ.

اقتربَ برأسهِ من خلفِ رأسي وأسرَّ في أذني...

علِّمني أينَ أضعُ القطنَ،

وأشارَ بإصبعهِ إلى أنفي وفمي.. واستدركَ...

ولكن، عادةً ما تكونُ الجثةُ مُستلقيةً،

قالها وهو يبتعدُ برأسهِ كمن يتنهدُ حسرةً وتابعَ...

هذهِ أولُ مرةٍ أقومُ بعملي والجثةُ واقفةٌ.. مفتوحةُ اليدين!

أحمد قطليش

كاتب سوري مقيم في ألمانيا، درس الرياضيات ويعمل في الصحافة والأداء الصوتي.

صدر له:

- مذاق باب شرقي - شعر - الأردن.
- هذا الرخام تشقق - قصص قصيرة - سوريا.

إصدارات دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع